التعريف بالكندي

اسمه واسرته — ولادته ونشأته — سيرته ووفاته

لمحمد متولي

١

الكندي هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصبّاح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس وإلى قيس هذا يتوافق ابن النديم والقفطي وابن ابي اصيبعه [١] في ايراد نسب الكندي واليه ايضاً يمكن أن نطمئن الى روايات هؤلاء لانها ثابتة تاريخياً كما سنرى

وابن النديم والقفطي وابن ابي اصيبعة يقولون عن قيس انهُ ابن معدي كرب بن معاوية بن جَبَلة ابن عدي ولكن ساعداً يخالفهم فيقول ان معاوية ابن خالد بن علي [٢]

وساعد والقفطي وابن أبي أصيبعة يقولون عدي بن ربيعة بن معاوية الاكبر فيذهب ابن النديم الى زيادة جيلين بين ربيعة ومعاوية الاكبر هما زيد بن الهُمَيْسَع

ثم يقول ساعد وابن أبي اصيبعة ان معاوية الأكبر ابن الحارث الاصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر

ويقولون ان الحارث الاكبر بن معاوية بن ثور بينما يذكر النويري [٣] ان كِنْدة وهو ثور قد اعقب من خمسة هما ابناء معاوية وأشرس «والعقب من معاوية هذا من ابليه مُرتِع وزيد» [٤] يذكر هذا النويري ولكننا لا نجدهم يقولون زيد حفيداً لثور ولا يقولون بمرتع

ويروى ان ثور بن مرتع بن كِندة بن عُفَيْر بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولكن ابن النديم يجعل هذه الاجيال العديدة المذكورة بين معاوية الاكبر وزيد ابي أدد وابن خلدون [٥] يروي عن ابن

---

(١) راجع نسب الكندي في ترجمته في الفهرست ص ٢٥٥ وطبقات الامم ص ٥١ وأخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤ وعيون الانباء في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦ (٢) هناك شبه قوي بين رسم « جبلة بن عدي » ورسم « خالد بن علي » فلعل خطأ ناشر كتاب طبقات الامم أو خطأ ناسخه هو أصل هذا الاختلاف (٣) نهاية الارب في فنون الادب ج ٢ ص ٣١٨ (٤) ساعد والقفطي يذكران « مرتع » بالقاف بينما من عداهما يقول « مرتع » بالتاء ونلاحظ ان القفطي نقل بعض رواية ساعد عن الكندي كلمة كلمة (٥) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٢٧٦

سعيد فيهمل اجيالاً عديدة ايضاً ثم يحدثنا ان يشجب بن عبدالله بن زيد بن كهلان فيزيد عبدالله هذا كذلك النويري وابن سعيد الحميري[١] ويروي ان مرتعاً ابن معاوية بن كندة فيزيدان معاوية واذا كان ثور هو اول من لقب بكندة وهو ما يكادون يتفقون في روايته[٢] فكيف يقولون ان مرتعاً ابن كندة مع انه اب لثور

ولو ذهبنا نتقصى نسب فيلسوفنا عند رواة آخرين لما وجدنا عندهم ما ينفع غلة وأحسب فيما قدمت من الروايات المتباينة وفيما رأيت من الفوضى الشائعة ما يجعلنا في حل من الشك في نسب الكندي قبل جده قيس وعلى الاخص ونحن نعلم ان كتب الانساب لا تعتمد على اسانيد تاريخية وانها كتبت في عصور متأخرة

***

على انهُ مهما يكن هذا النسب موضوعاً والروايات المختلفة ومهما يكن الشك فيهِ والحرص في الاخذ به واجبين فنحن نستطيع ان نخرج بقول بيّن من كل الروايات ذلك هو ان الكندي قد تنقل في اصلاب كندة القبيلة العربية الخالصة

واصل كندة في بلاد اليمن ولكن بطوناً منها نزحت في مناسبات الى امصار اخرى حيث نشأت فروع للقبيلة العريقة فيحدثونا ان الكندي المصري ابا عمر محمداً بن يوسف بن يعقوب النجيبي المؤرخ ينتسب الى كندة[٣] وان كثيراً من المحدثين الكوفيين والبصريين ينتسبون الى كندة ايضاً[٤] ويحدثونا كذلك ان بطوناً اخرى قد استقرت في الشام[٥] والاندلس[٦] ولكن يعنينا الآن ان نعرف شيئاً عن اسرة الكندي — كيف كانت وكيف نزحت عن مخاليفها في اليمن ، ثم كيف استقرت وكيف كان حالها بين ربوع العراق ؟

فاذا صدقت الروايات كانت الارستقراطية قوية واضحة في يعقوب الكندي وكان هو عريقاً في نسبه أصيلاً — ذكر الالوسي البغدادي عن ابن الكلبي[٧] ان كسرى سأل النعمان بن المنذر « هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة » ؟ فقال النعمان « نعم » قال « فبأي شيء » ؟ قال « من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال رابع — فالبيت من قبيلته فيهِ وتنسب اليهِ » وتقصوا هذا فلم يجدوه في غير آل حذيفة بن بدر وآل ذي الجدين وآل الاشعث بن قيس الكندي

(١) منتخبات في أخبار اليمن ص ٩٤ — وفصل ابن سعيد الحميري هذا غير ابن سعيد الذي يروي عنه ابن خلدون لان هناك خلافاً بين الروايتين (٢) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٢٧٦ ومنتخبات في أخبار اليمن لابن سعيد الحميري ص ٩٤ والمختصر في تاريخ البشر لابي الفدا ج ١ ص ١٠٣ ونهاية الارب للنويري ج ٢ ص ٣١٨ وصبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ٣٢٨ (٣) كتاب الولاة والقضاة لابي عمر محمد بن يوسف الكندي ص ٦ (من مقدمته الانجليزية بقلم «روفن جست») (٤) راجع طبقات ابن سعد ج ٢ وجزء ٦ وجزء ٧ (٥) راجع طبقات ابن سعد ج ٣ وجزء ٦ وجزء ٧ (٦) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٢٧٦ (٧) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج ١ ص ٢٨١

والأشعث بن قيس كان ملكاً على جميع كندة وكان ابوه من قبل ملكاً عليها ايضاً وكان معدي كرب بن معاوية جد قيس ملكاً على بني الحارث الاصغر في حضرموت وكذلك كان معاوية ابو معدي كرب ملكاً في حضرموت ثم معاوية بن الحارث الاكبر والحارث الاكبر هذا وابوه ثور كل هؤلاء وهم اجداد قيس كانوا ملوكاً على معد في المشقر واليمامة والبحرين[1]

وسطع نور الاسلام فتهافتت عليه القلوب ووفد الناس جماعات على النبي يطلبون عنده الحق والهدى وكان ممن توجه اليه وفد كندة يقدمه الاشعث بن قيس وحظي ابناء كندة بلقاء النبي في السنة العاشرة واسلموا جميعاً وتزوج الاشعث من أم فروة اخت ابي بكر واخرها الى ان يعود ثم رجع واصحابه الى ديارهم متزودين بدينهم الجديد

ولما مات النبي ارتدّ ناس عن الاسلام وكان الاشعث من المرتدين تخلصاً من فريضة الزكاة فسيّر ابو بكر الجنود اليه وغلبهُ على امره فجيء به الى المدينة موثوق الكتاف وسأل ابو بكر هل يقتله فقال « يا ابا بكر احتسب فيّ واقتني واقبل اسلامي وردّ عليّ زوجتي » وهذا ما كان فقد قبل ابو بكر اسلامه واطلقه وردّ عليه زوجته[2]

وبعد ذلك اصبح الأشعث جندياً في صفوف المسلمين فقاتل الروم على نهر اليرموك وقاتل الفرس في القادسية وكان عاملاً لعثمان على ارمينيا واذربيجان[3] ثم كان تابعاً لعليّ واشترك في موقعة صفين ويقال ان الحسن بن علي تزوج من احدى بناته ولقد اسكن الكوفة ومات هناك[4] وخلف من أم فروة ولداً اسمهُ محمد ومحمد محمداً بن الاشعث هذا رئيساً للشرطة في الكوفة يعمل مع واليها عبيد الله الذي انتصر ليزيد الاموي على الحسين بن علي مما يدل على انهُ قد خرج على ولاء ابيه لبيت علي ثم نجده ثائراً في وجه المختار في الكوفة فاراً الى البصرة وبعد هذا نجده قتيلاً في موقعة حروراء بالقرب من الكوفة سنة ٦٧ هـ[5] وكان لمحمد بن الاشعث ولد اسمه عبد الرحمن بعثه الحجاج لقتال الثائرين في سجستان فسار اليهم على رأس جيش من الكوفيين والبصريين ولكنهُ صالح الثائرين فعزلهُ الحجاج فاتفق مع رؤساء جيشه وخرجوا عليه فجرد الحجاج جيشاً قاتله به فانتصر عبد الرحمن ونزل البصرة فبايعه اهلها سنة ٨١ هـ

ولكن الحجاج استعان بالامداد ورجع الى حرب ابن الاشعث ودام القتال بينهما حتى تغلب الحجاج سنة ٨٣ هـ ففر عبد الرحمن الى سجستان حيث مات فقيل مات بالسل وقيل منتحراً[6]

ونحن وان كنا لا نعرف العلة — على التحقيق — بين عبد الرحمن بن الاشعث وبين يعقوب

---

(١) ساعد والقفطي وابن أبي اصيبعة (٢) العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٥٦ (٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٧٠ ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٩٤ (٤) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣

(٥) Abhandlungen fur die Kunde des Morgenlandes, Bd. I No. 2 (Al-Kindi, von Dr. G. Flugel, S. 4.)

(٦) مختصر تاريخ البصرة لعلي ظريف الاعظمي ص ٥١ والعبر لابن خلدون ج ٣ ص ٢ وج ٤ ص ١٣٨

الكندي الا ان الغالب ان عبد الرحمن اخو اسماعيل بن محمد الاشعث الجد الثالث للفيلسوف واذا حاولنا ان نعرف شيئاً عن الجد الثالث او عن ابيه عمران فانهُ يخيل اليَّ بعد بحثي اننا لم نظفر بشيء ولكن لا يسعنا الاَّ ان نسلم بوجودهما لانهما يكملان سلسلة الاجيال فيوصلاننا الى الصباح الجد الاول للكندي ونحن لا نعلم ايضاً من امر الصباح اكثر من انهُ كان ولي الولايات لبني هاشم (١)

اما اسحاق ابو يعقوب الكندي فقد ولّي الكوفة للمهدي والرشيد وكانت ولايته منذ سنة ١٥٩ هـ ولا ندري هل بقي على الكوفة طيلة عهدي هذين الخليفتين ام انهُ كان يتركها في آن ثم يعود اليها في آن آخر لان هذا موضوع خلاف في الروايات التي لدينا وبعض هذه الروايات غامضة (٢) وعلى اي حال فاكبر الظن ان ولايته كانت ولاية استكفاء (٣) لان الطبري يحدثنا انهُ ولّي النعمان بن جعفر الكندي شرطة الكوفة وولى بعده اخاه يزيد بن جعفر وهذا يدل على ان اسحاق كان موضع ثقة المهدي والرشيد او محل عنايتهما

— ٢ —

والآن وقد مررنا بهذه الاجيال السحيقة الطويلة حتى اشرفنا على يعقوب الكندي فلنحاول ان نعرف عنهُ شيئاً واذا كنا لا نجد ما يغني في اخباره القليلة المنثورة المشوّهة المتكررة فانهُ يمكن ان نستخلص له صورة لها حظ مرضي من جمال الحقيقة

ولقد يكون حسناً ان نتعرف بالكندي في ادوار حياته فنسأل ما مولده وما ميلاده

اما مولده فنقرأ مرة انهُ الكوفة (٤) ونقرأ اخرى انهُ البصرة (٥) ويقول « كارا ده ڤو » هو الكوفة او البصرة (٦) ولست ادري كيف استطاع الرواة — وكلهم محدثون — ان يميزوا مكان ولادة الكندي ولا ادري كيف استباحوا ان يذكروه مطمئنين مع انا لانجد القدماء يحدّثوننا بشيء عنهُ

يخيّل اليَّ ان « فنديك » قال ان الكندي ولد في البصرة لان ابن ابي اصيبعة والقفطي رويا — عن ابن جلجل — انهُ كان شريف الاصل بصريًّا . ويخيل اليّ ان الزركلي (٧) لم يقل انهُ نشأ في البصرة الاّ لهذا السبب ايضاً. ولا اعرف كيف قدر « بوير » وغيره ان الكوفة كانت مولده ولكن في رواية ابن ابي اصيبعة والقفطي — عن ابن جلجل — شيئاً آخر يستحق التأمل قالا « وكان جده ولّي الولايات لبني هاشم ونزل البصرة وضيعته هناك وانتقل الى بغداد وهنالك تأدب وكان عالماً بالطب والفلسفة » . فهذه الرواية مهما تكن مبهمة فان لها منطقها الذي يدل على ان الكندي

(١) ترجمة الكندي في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦ (٢) العبر لابن خلدون ج٣ ص ٣٠٧ و٣١٠ وتاريخ الطبري ج ٦ في اخبار سنتي ١٥٩ و١٦٠ و١٦١ في ذكر ولاة الامصار ايام هارون الرشيد (٣) ولاية الاستكفاء هي التي يفوض الخليفة الامر فيها الوالي ليعين عماله كما يشاء ويكون زمام النظر في شئونها (عن جرجي زيدان)

(٤) T. J. De Boer, The History of Philosophy in Islam p. 51. & The Encyc. Britannica, vol. 31 p. 335 (٥) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفنديك ص ١٨٢

(٦) Les Penseurs de L'Islam, Vol. 4, p. 3. (٧) قاموس الاعلام ج٣ ص١١٦٧

و نزل البصرة ، ولذلك لا يمكن ان يكون نزيلاً في مولده ومتى بطل انه ولد في البصرة فقد صح انهُ ولد في الكوفة . ويزيدنا ثقة بهذا الرأي ان أبا الكندي كان عاملاً في الكوفة ما يقرب من عشرين عاماً وهو بها هناك لم يُولَد مولاً قبل ان يبلغ الرجولة فيحتمل كثيراً ان يكون قد رزق بالكندي هناك

وأما سيادته فقد يزيد على مولده غموضاً فلا نعثر عليه عند أحد ولا نعثر حتى على تقديره ونحن بدورنا لا نستطيع ان نقول عنهُ الاَّ انهُ كان بين سنتي ١٥٩ هـ و ١٩٣ هـ وهي الفترة التي قدرنا ان اسحاق أباه كان فيها عاملاً ووالياً على الكوفة وانه كان حول سنة ١٧٠ هـ اذا صحَّ ان فيلسوف العرب كان من المعمرين كما سترى

***

وبعد ذلك كيف نشأ الكندي ؟

هناك مسألة كنت أحب ألاَّ أتعرض لها على الرغم من ان اكثر من واحد ذكرها فلو أنك قرأت بعد الذي قدمته ان الكندي كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ألا يشدهك هذا الكلام ؟

زعم قنديك[1] ان الكندي كان نصرانيًّا وقال ظهير الدين البيهقي[2] ونقل عنه الشهرزوري[3] أنهُ كان يهوديًّا او نصرانيًّا ثم أسلم وتشكك « سلفستر دي ساسي »[4] في كون دينه الاسلام وكثيرون غير هؤلاء شكوا — أيضاً — في انهُ كان مسلماً او ادَّعوا انهُ لم يكن كذلك

وفي زعم قنديك ان تناظراً جرى بين الكندي وعبد الله بن اسماعيل الهاشمي الامير المسلم فكتب عبد الله رسالة الى الكندي يدعوه بها الى الاسلام فردَّ عليه بهذا يدافع عن المسيحية والواقع ان عبد الله قد ناظر كنديًّا آخر هو عبد المسيح بن اسحاق النصراني الذي كان في بلاط المأمون حول سنة ٢٠٤ هـ[5]

ورواية البيهقي التي نقلها الشهرزوري ليس فيها ما يستحق العناية بل هي خبر أرسله صاحبه ارسالاً

ولكن دي ساسي يقول اولاً انهُ ليس بين مؤلفات الكندي العديدة واحد يتصل بالاسلام ويقول ثانياً ان الكندي كان يعرف الاغريقية او السريانية وانهُ كان مترجماً معروفاً بينما كان اكثر المترجمين اذ ذاك من المسيحيين ثم يشير ثالثاً الى مخطوط في المكتبة الامبراطورية ويقول ان في هذا المخطوط دفاعاً عن المسيحية وانه مكتوب باللغة العربية ولكن بخطٍّ سرياني واسم مؤلفه يعقوب الكندي

ويظهر ان دي ساسي يعتمد على عقله اكثر من اعتماده على علمه فللكندي رسالة «في ملك العرب وكميته » تدل قضاياها على دراسة صاحبها للقرآن ويدل كلامها على ان مؤلفها مسلم لانهُ يلتزم آداب المسلمين كما تحدثوا عن مقام نبيهم الرفيع

(١) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ١٨٢ (٢) تاريخ الحكماء مخطوط بدار الكتب المصرية) ص١٨
(٣) نزهة الارواح وروضة الافراح (مخطوط بمكتبة الجامعة المصرية) ص١٨٣
(٤) Relation de l'Egypte (Notes) p. 487 et 488
(٥) The Encycl. of Islam vol. II. p. 1021 ومعجم المطبوعات ليوسف سركيس ص ١٠٧١

وله رسالة « في اثبات النبوة » واخرى « في علة النوم والرؤيا » ولم يعالج هذين الموضوعين في ذلك الوقت غير المسلمين فيما اعلم . على انهُ ان لم يكن بين مؤلفاته ما يتصل بالاسلام مباشرة فليس فيها ايضاً ما يتصل بغيره من الاديان او بمعنى أدق ما يدل على انهُ لم يكن مسلماً واذا كانت كثرة المترجمين في عهد الكندي مسيحية فما الذي يمنع ان يكون هو من القلة المسلمة وفي النهاية يرد ده سامي على اعتراضه الثالث فيقرر انهُ ربما كان صاحب مخطوط المكتبة الامبراطورية كنديًّا آخر لان في مقدمته ان مؤلفه من حاشية المأمون وانهُ مسيحي من كندة ولأن عنوان المخطوط هو « كتاب الكندي اليعقوبي » . وفي فهرست الكتاب السريانيين لعبد يسوع كاتب اسمه الكندي له مؤلف ديني وهذا الكندي عاش حول ٢٨٠ هـ ولا يحتمل ان يكون يعقوب الكندي قد عاش الى ذلك الوقت

ونحن لا يسعنا بعد الذي علمناه عن أسرة الكندي وبعد ان أظهرنا ان أصل الشبهة في أمر دينه كانت لمشابهة اسمه لاسم عبد المسيح بن اسحاق الكندي نحن لا يسعنا بعد هذا الاَّ ان نترك فنديك وشأنه هو وأصحابه لنتعرف أين تعلم الكندي ؟ ومن هم أساتذته ؟ وما هي علومهم التي أخذها عنهم ؟

فاذا اخذنا بأنهُ نشأ في البصرة وانتقل الى بغداد فانهُ يكون قد تعلم فيهما ونحن لا نعرف شيئاً عن نشأته او تعليمه ولكننا نقدر انهما لم يختلفا عن نشأة ابناء المسلمين في ذلك الزمان الذين كانوا يدرسون القرآن ويطلبون العلوم الدينية في محترف الدور وفي حلقات الجوامع فبعد ان حصل قسطاً من هذه الدراسة العادية قصد الى بغداد حيث كانت الحركة العلمية أبهر منها في البصرة عند ما اتسع نطاق الترجمة واشتد المعتزلة في أيام المأمون والمعتصم . ولقد ساهم الكندي في هذه الحركات الفكرية فترجم ولخّص وشرح وألّف رسائل في الفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والموسيقى وغيرها

ويمكن ان نقسم أساتذة الكندي الى طائفتين فالطائفة الاولى تتكوّن من اولئك الشيوخ الذين لقنوه القراءة والكتابة ودرس عليهم القرآن وعلوم الدين والكلام ونحن لا نجد سبيلاً الى معرفة أحد من هذه الطائفة اللهمَّ الاَّ ان نرجع اتصاله بعلماء العراق الذين عاصروه ونذكرهم واحداً واحداً . والطائفة الثانية تتكوّن من اصحاب الكتب التي عرفها العرب حينئذٍ بعد ان تُرجمت او لخصت عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية واللاتينية واصحاب هذه الكتب هم أساتذته الحقيقيون الذين كوّنوه وميزت شخصيته بطابعهم اكثر من غيرهم واذن فلا بأس من ان نقول ان الكندي تلميذ أرسطو وافلاطون وفيثاغوروس وافلوطينوس وبطليموس ومن اليهم بل نحن نقول هذا مهما يكن قد أساء فهم قراءتهم او قراءة تراجمهم ومؤلفاته التي وصلتنا خبرها ومؤلفاته التي بين أيدينا تدل جميعها على هذا في صراحة ووضوح

أما العلوم التي درسها فيلسوف العرب فقد أصبح لزاماً ان نذكرها بعد الذي علمناه من أمر أساتذته وبعد ما تقرر بين أنحاء البحث التي سلكها مؤرخو علمائها اذا نذكر انهُ بدأ عايته من الدرس في ظلال بيت الحكمة

— ٣ —

وفيما نجده من أخبار الكندي نجد انهُ كان حلو الحديث . فالجاحظ[1] يذكر ان سكان بيته كانوا يتفرون له مضايقاته لطيبته « وحسن حديثه » والبيهقي يذكر ايضاً انهُ قال « من لم يتبسط بحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك »

ونجد كذلك في أخباره انهُ كان ينزع نزعة الحكماء فيقول « ان النظر في كتب الحكمة اعتياد النفوس الناطقة » ويقول ان افلاطون قد شبّه الشهوة بالخنزير والقوة الغضبية بالكلب والقوة العقلية بالملك « فمن غلبت عليه الشهوة فهو خنزير ومن غلب عليه الغضب فهو كلب ومن غلب عليه العقل فهو ملك . . . » واذا كان ملكاً كان قريب النسبة الى الله تعالى . والحكمة والخير والقدرة والعدل والكرم والاحسان من صفات الله « والانسان لا يكون ذا فضل الاّ بأن تكون هذه الفضائل له وحلّى فيه وحاصلة لديه وغالبة عليه »[2]

وأحبه كان يعتد بعقله ويحرص عليه فيقول « لو أفقد احد أحسن اعضائه كان مذموماً وأشرف الاعضاء الدماغ ومنه الحس والحركة وسائر الافعال الشريفة ومستعمل السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم ومتى توالى السكر على بدن مرض دماغه واشتد ضعفه وبعد عن القوة المعدّة للافعال الارادية والنفسانية[3] » وأبو معشر يذكر ان استاذه الكندي لم يشرب الخمر الاّ أياماً ليداوي بها علة في ركبته ثم يذكر انهُ تركها واصطنع شراب العسل[4]

وبينما نحن ننعم بهذه السيرة الجميلة يطالعنا القفطي[5] بأنهُ كان للكندي جار من التجار وكانت الصلة بينهما متوترة ومرض ابن التاجر فطوّف البلدان يستركب الاطباء لولده فلم ينفعوه واخيراً قال له أحدهم « انت في جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب » فاضطر التاجر ان يستشفع الى الكندي بصاحب له «فنقل عليه في الحضور فأجاب» بهذا يطالعنا القفطي فيفسد الانجام تلك المعاني الجميلة في نفوسنا ويدعنا نفكر شاخصين... ولكن سرعان ما نستعيد رشدنا بقول ابن ابي أصيبعة[6] ان الكندي قال « وليتق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر فليس عن الانفس عوض. وكما يجب ان يقال انهُ كان سبب عافية العليل وبرئه . كذلك فليحذر ان يقال انهُ كان سبب تلفه وموته »

---

(١) كتاب البخلاء ص ٨٤ (٢) نزهة الارواح للشهرزوري (٣) نزهة الارواح للشهرزوري
(٤) و(٥) راجع ترجمة الكندي في تاريخ الحكماء للقفطي ص ٣٤٦ (٦) راجع ترجمة الكندي في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦

وهل يمكن ان نصدق حكاية القفطي بعد الذي رواه ابن ابي أصيبعة ! ؟ ان الكندي ليفهم واجب الطبيب في القرن التاسع على وجه لا يتسامى اليه طبيب القرن العشرين فلا يمكن الا ان نكر ما حكاه القفطي عن امتناعه في عيادة ابن جاره

ولكن الجاحظ يحدثنا بأن الكندي كان « لا يزال يقول للساكن وربما قال لصحار ان في الدار امرأة بها حمل والوحشي ربما أسقطت من ريح القدر الطيبة فاذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة او لعقة فان النفس يردها اليسير » ويقول انه كان في شرط الكندي على الكان « ان يكون له روث الدابة وبعر الشاة ونشوار العلوفة والا يخرجوا عظماً ولا يخرجوا كساحة وان يكون له نوى التمر وقشور الرمان ... » ويذهب الجاحظ يقص علينا اخباراً اخرى كثيرة عن بخل الكندي وأنا إذ اقرأ هذه الاخبار لا أجد فيها الا نوعاً من الأدب الانشائي الرائع فهذه الصورة العجيبة لا أظنها تمثل حقيقة من حقائق الحياة بل أخالها صورة رمزية صنعها الجاحظ الاديب واذا كنت قرأت عنده « قصة الكندي » كلها فأنت لا شك قد رأيت فيها صنعة التقمص ظاهرة

وقد تكون لحديث الجاحظ قيمة ما ، بعد ان وصف ابن النديم [1] الكندي بالبخل وبعد ما روى ابن ابي اصيبعة [2] — عن ابن بختويه — ان الكندي قال في وصية لابنه « . . . وقول لا يصرف البلا وقول نعم يزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت والدينار مغموم فان صرفته مات والدرهم محبوس فان أخرجته فر والناس سخرة فخذ شيأهم وأحفظ شيأك ... » اقول قد تكون بعد هذا قيمة لحديث الجاحظ لانه يشف عن حرص على المال والرجل القوي الخلق قد يحرص على المال ليصون به كرامته في هذه الحياة الدنيا أما ذلك البخل المزري الذي يصفه فلا يمكن ان يصدق على الكندي الناشىء في حجر أبيه والي الكوفة وفي ظل أسرته البارزة في السياسة الاسلامية منذ صدر الاسلام والذي يروى عنه انه كان يترجم الكتب ولا يرتزق بالترجمة [3] والذي اتصل بالمأمون ثم بالمعتصم فاختاره هذا لتأديب ابنه الأمير احمد

***

على اننا لا نعرف متى انطفأ سراج الكندي فنحدد نصيب مدينة السلام من فضله لان الروايات في تاريخ وفاته لا تقل اضطراباً عنها في ميلاده فبينما يذكر ده سامي ان «سبرجنل» يحدد وفاة الكندي سنة ٢٦٧ هـ نجد « أوليري » [4] يقول بأنها كانت حول سنة ٢٦٠ هـ و« كارا ده فو » يرجح أنها

(١) راجع ترجمة الكندي في فهرست ابن النديم ص ٢٥٥ (٢) راجع ترجمة الكندي في طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٠٦ (٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ٢١٢

(٤) De Lacy O'Leary, Arabic Thought and its Place in History, The article on al-Kindi

حول هذه السنة ومحمد « بوير » يستنتج من احصا[ئ]ل الكندي ا[لـ]ـة أنهُ عاش حتى سنة ٢٥٧ هـ ثم محمد « ماسينيون » يقول انهُ توفي حول سنة ٢٤٦ هـ (١)

أما سيرحل فليست لروايته قيمة عندنا لانها لا تستند الى مصدر [ن] نستطيع ان نقدره ولا نعثر في روايتي اوليري وكراوه فوق على القياس الذي مهد لها فيـ[ـه] من تقدير واستنتاج فلا يسعنا الاَّ ان نتركهما

وأما « بوير » فيشير الى رسالة في الفلك للكندي ويذكر انهُ بنى عليها نتيجته واذا كان لم يعين هنا الرسالة فنحن نستطيع ان نقرر انها « في ملك العرب وكينه » اعتماداً على وصف « بوير » لها واعتماداً على علمنا بما بقي للكندي من الرسائل الفلكية . وفي هذه الرسالة ما يدلُّ على ان الكندي كان يعيش حين فتنة الخليفة المستعين اي سنة ٢٥١ هـ بخلاف ما فهمه بوير وهذا لان موضوع الرسالة هو الاستدلال على الحوادث باقترانات الكواكب فلما كان دور سنة ٢٤٢ هـ عين فيه الكندي فتنة المستعين ووصف حوادث اخرى لم يعينها ثم استمرَّ يذكر ادوار الاقترانات التالية ويصف حوادثها دون ان يعين شيئاً منها على غير عادته في الادوار التي سبقت دور سنة ٢٤٢ هـ مما يدلُّ على انهُ كتب رسالته بعد ان شاهد فتنة المستعين ويدل على ان هذه الفتنة هي آخر الحوادث الجسام التي وقعت في ايان حياته وبهذا ينهار قول ماسينيون بأن الكندي توفي حول سنة ٢٤٦ هـ ويزيده انهياراً ما نقرأه في ابن النديم عن كتاب في مذاهب اهل الهند نسخه الكندي بيده سنة ٢٤٩ هـ (٢)

ولكن كون الكندي قد عاش حتى سنة ٢٥١ هـ لا يحدد وفاته بل يتركنا للتقدير والترجيح فاذا كان حقًّا ان تلميذه النحوي المتوفى سنة ٣٢٣ هـ تلميذه فهو من المعمرين ورسالته في اعتذاره في موته دون كماله سني الطبيعة التي هي مائة وعشرون سنة التي يذكرها ابن ابي اصيبعة هذه الرسالة تكون صحيحة الدلالة على تعميره غير ان هذا بعيد لانهُ يمكن ان يكون كتب رسالته معتذراً وهو يموت في اية سن ولو كان قد عاش الى ما قبيل السنة المائة والعشرين من عمره لكان قد عاصر الفارابي مما لم يكن منهُ شيء

واذن فليس لنا ان نقول الاَّ ان الكندي مات بعد سنة ٢٥١ هـ ولو نذكر اننا رجَّحنا ان ميلاده كان حول سنة ١٧٠ هـ ونذكر انهُ كان يترجم للمأمون ويؤدب احمد بن المعتصم بين سنة ١٩٨ هـ و٢٢٢ هـ مما يثبت انهُ كان عالماً ناضجاً في هذه الفترة ولو نأخذ بأنهُ كان من المعمرين اقول لو نأخذ بهذا ونذكر ذاك ثم نتجاوز في التقدير فلن نستطيع ان نقول الاَّ انهُ كان يعيش سنة ٢٥١ هـ ومات بعدها بقليل

(١) Louis Massignon, Recueil de Textes Inédits concernant l'histoire de la Mystique en pays d'Islam. p. 175. (٢) فهرست ابن النديم ص ٣٤٥